خطبة صلاة الجمعة 7/1/2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الوفاء عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة الرابعة عشرة في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلّى بها).

وعنوان خطبة اليوم:

الوفاء عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به

أيها الإخوة:

سبق أن الخُلق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخِلْقة اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة، فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله، ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

أيها الإخوة:

كانت العرب قبل البعثة يعتبرون الوفاء دِيناً يتمسكون به، ويبذلون له الغالي والرخيص، وجاء الإسلام فزادهم تمسكاً والتزاماً به.

والأصل في الوفاء لغةً: التمام، ووَفَّاهُ حقَّهُ أي أعطاه تاماً وافِياً، والوفاء ضد الغدر، قال الله عز وجل ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي قام بجميع ما فرض عليه وافياً تاماً.

ويتعلق الوفاء بالمواعيد وبالعهود وبالعقود وبالمواثيق، ويتعلق الوفاء بالكيل وبالأجور وبالدَّين وبالأيمان وبالنذر، ونحوها.

فالوفاء إتمام وإكمال ما ألزم الإنسان به نفسه من عهود أو مواثيق أو وعود أو أمانات أو ديون أو غير ذلك مما يتعلق بكلمة الوفاء.

وإذا كان حديث اليوم عن الوفاء عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى به، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1- أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: ابتاع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من رجل من الأعراب جزوراً أو جزائر بوَسْق من تمر العجوة، فرجع به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بيته والتمس له التّمر فلم يجده، فخرج إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له: «**يا عبد الله! إنّا قد ابتعنا منك جزوراً أو جزائر بوسق من تمر العجوة فالتمسناه فلم نجده**»، قال: فقال الأعرابيّ: وَا غَدْرَاهُ، قالت: فنَهَمَهُ النّاس وقالوا: قاتلك الله، أيغدِر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قالت: فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «**دعوه، فإنّ لصاحب الحقّ مقالاً**» ثمّ عاد له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «**يا عبد الله إنّا ابتعنا منك جزائرك ونحن نظنّ أنّ عندنا ما سمّينا لك، فالتمسناه فلم نجده**» فقال الأعرابيّ: واغدراه، فنهمه النّاس، وقالوا: قاتلك الله، أيغدر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «**دعوه، فإنّ لصاحب الحقّ مقالا**» فردّد ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرّتين أو ثلاثاً، فلمّا رآه لا يفقه عنه قال لرجل من أصحابه: اذهب إلى

خويلة بنت حكيم بن أميّة فقل لها: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول لك: إن كان عندك وسق من تمر العجوة فأسلفيناه حتّى نؤدّيه إليك إن شاء الله» فذهب إليها الرّجل، ثمّ رجع الرّجل فقال: قالت: نعم، هو عندي يا رسول الله فابعث من يقبِضُه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للرّجل: «**اذهب به فأوفه الّذي له**» قال: فذهب به فأوفاه الّذي له.

قالت: فمرّ الأعرابيّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو جالس في أصحابه فقال: جزاك الله خيرا. فقد أَوْفَيْتَ وَأَطْيَبْتَ. قالت: فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «**أولئك خيار عباد الله عند الله الْمُوفُونَ الْمُطِيبُونَ**».

إنها صورة من صور وفاء النبي صلى الله عليه وسلم في عقوده.

2- وأخرج الإمام أبو داود عن أبي رافع- رضي الله عنه- قال: بعثتني قريش إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ألقي في قلبي الإسلام. فقلت: يا رسول الله، إنّي والله لا أرجع إليهم أبدا. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «**إنّي لا أخيس بالعهد، ولا أحبس الْبُرُدَ، ولكن ارجع، فإن كان في نفسك، الّذي في نفسك الآن، فارجع**» قال: فذهبت، ثمّ أتيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فأسلمت).

إنها صورة من صور وفاء النبي صلى الله عليه وسلم في عهوده.

3- أخرج الإمام مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: ما منعني أن أشهد بدرا إلّا أنّي خرجت أنا وأبي، حُسيلٌ. قال: فأخذنا كفّار قريش. قالوا: إنّكم تريدون محمّدا؟ فقلنا: ما نريده. ما نريد إلّا المدينة. فأخذوا منّا عهد الله وميثاقه لننصرفنّ إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرناه الخبر. فقال: «**انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**».

إنها صورة من صور وفاء النبي صلى الله عليه وسلم مع أعدائه.

والحاصل أن الوفاء خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون الوفاء خلقَك، وأن تكون معروفاً به.

جرت عادته أن يلتزم بمواعيده فلا يتأخر عنها ولا يتقدم، ويحسب حساب ازدحام الطرق وصعوباته فيخرج من بيته قبل الموعد بوقت مناسب، وربما وصل إلى مكان الموعد قبل الموعد بدقائق، فتراه يتمشى أما الباب فلا يطرقه إلى أن يحين الموعد المتفق عليه، ليكون من أهل الوفاء بالمواعيد.

الوفاء إتمام وإكمال ما ألزم الإنسان به نفسه، وإن الله عز وجل يحب الأوفياء من عباده.

كانت عادة الباعة عندما كان للميزان كفتان إذا زانوا للزبون أن يرجحوا كفته ليعوضوا عن وزن الكيس الذي يحمل الحبوب والخضار وليفوا الميزان حقه؛ لأنهم علموا أن الوفاء بالوزن دين وأن التطفيف حرام، وقل مثل ذلك في أصحاب الكيل أو في الذين يذرعون قطع القماش أو يمترونها، فكل أؤلئك يزيدون للزبون شيئاً ليفوا له حقه ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35].

الوفاء إتمام وإكمال ما ألزم الإنسان به نفسه، وإن الله عز وجل يحب الأوفياء من عباده.

استأجر طبيب عقاراً ليتخذه عيادة له مدة عشر سنوات، وعلى هذا اتفق الطرفان وأبراما العقد، ومرت الأيام وعيادة الطبيب تزداد شهرتها ويزداد إقبال الناس عليها، إلى أن حان وقت انتهاء أجل العقد والعيادة في ذروة نشاطها، تواصل الطبيب مع صاحب العقار يرجو منه تمديد العقد، ولكن صاحب العقار اعتذر لحاجته إلى المكان لأمر عائلي، فما كان من الطبيب إلا أن ذهب يبحث عن عقار جديد ليتخذه عيادة وفاءً بعهده وعقده مع الرجل، فلم يتهيأ له عقار في الحي نفسه ووجد عقارا في حي بعيد فانتقل إليه حزيناً وسلّم مفاتيح العقار لصاحبه شاكراً له حسن تعامله طيلة السنوات العشرة.

كافأه الله على وفائه بوعده وعقده أن جعل في عيادته الجديدة من إقبال الناس وانتفاعهم بمعالجاته أضعاف أضعاف ما كان في العيادة الأولى.

الوفاء إتمام وإكمال ما ألزم الإنسان به نفسه، وإن الله عز وجل يحب الأوفياء من عباده.

عقد شاب على فتاة على مهر اتفقا عليه وقدم لها من الهدايا والحلي خلال فترة العقد الشيء المناسب، وبعد ثمانية أشهر من العقد اختلفا وحصل بينهما ما يزعج الطرفين فطلبت الفتاة من العاقد طلاقها وأصرت على ذلك، على أن تبرئه من المهر وترد له الحلي وتبقى لها باقي الهدايا فوافق على ذلك، وطلقها واتفقا على أن يسترد الحلي بعد أسبوع.

وخلال الأسبوع نزل ببلدتهم ما نزل من الأزمة وتفرق الناس في البلدات والبلاد، وانقطع خبر هذا الشاب وأهلِه عن الفتاة وأهلها.

بقيت تسأل عنهم طويلاً لترد لهم الحق فلم تهتد، إلى أن علمت بعد عشر سنين مكان وجوده فطلبت من زوجها التواصل معه ليرد له حليه القديمة لتفي بذمتها المالية تؤدي ما عليها من حقوق الآخرين، ففعل

الوفاء إتمام وإكمال ما ألزم الإنسان به نفسه، وإن الله عز وجل يحب الأوفياء من عباده.

أيها الإخوة:

إذا أبرم المسلم عقداً احترمه، وإذا أعطى عهدا التزمه، وإذا قال كلمة صانها، وإذا حلف يميناً برّها،

وإذا نذر نذراً وفاه، وإذا اقترض قرضاً أداه، وإذا وعد موعداً التزمه، وإذا وزن الميزان أقسطه، وكل هذا معدود في الوفاء.

ويعين المرء على التحلي بالوفاء أربعة: ذكر الله، ولزوم مجالس العلم، وصحبة الأوفياء ومطالعة أخبارهم، ومجاهدة النفس.

أيها الإخوة:

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾

والحمد لله رب العالمين